

أيمان العرب في الجاهلية

صِيَاهُ أَبِي إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ النَّجِيرِيِّ الْكَاتِبِ ^{رحمه الله تعالى}

من رجال اللغة والادب في دولة كافور الاخشيدي في مصر

نقلًا من نسخة المزانة التيمورية (٣٦٢ لغة) ونسخة دار الكتب المصرية (٢٢٤ مجاميع)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله النجيري الكاتب :

كانت العرب في الجاهلية على مذاهب : فكان معظمهم من يدين الله ^(١) (تعالى ذكره) ، وينسأك يارث من ملة إبراهيم (صلى الله عليه وسلم) ، ويحج ويتأله ويهظم الحرم ، والأشهر الحرم ، ويضع فيها أوزار الحرب ، وإن ظفروا بعدوه فيها لم يمسه بسوء .

وكانوا في ذلك أخفافاً ^(٢) : فكان منهم من يستحل في الحرم المحلّ والمحرم ، ومنهم من يحرم عن المحلّ والمحرم ، ومنهم من يحلّ عن المحرم ويحرم عن المحلّ .

قال أبو إسحاق : وكان عمرو بن كلثوم التغلبي من المحلّين

قال : وفي كل العرب خصائص تفعل هذا ما خلا طَبِئًا وَخَنَعَمَ ، فانهم كانوا

لا يحرمون عن محلّ ولا محرم

ومنها طائفة تعبد الأصنام وتزعم أنها تقرّبهم الى الله عزّ وجلّ ، كما ذكر الله الله عزّ وجلّ في قوله « ما نمبّدُهم إلّا لِيُقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى » وكما قال أيضاً

(١) في النسخة التيمورية « معظمهم من يدين »

(٢) الخيف (بالتحريك) : ان تكون احدى البيتين زرقاء والاخرى كعلاء . ثم قيل :

اخوة أخيف يعني الام الواحدة اذا اختلفت آباؤهم ، ثم قيل للمختلفين في أي أمر من الامور : هم أخيف ، ومنه هذا الذي نحن بصدده . الواحد أخيف والاثني خيفاء

فيهم « ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله »

ومنهم طائفة تعبد الأصنام وتقسم بها ويزعمون أنها هي الصارة النافعة ، كما ذكر الله عز وجل في قصة ابراهيم عليه السلام وقومه
فالطائفة الأولى تقسم بالله تعالى ، والقسم به عندهم أعظم الأيمان . ولذلك قال النابغة :

جلفت فلم أنرك لنفك ربيّة ١ وليس وراء الله للمرء مذهب^(١)

وأخبر الله تعالى فيهم بذلك فقال « وأقسموا بالله جهد أيمانهم »

ويقولون « والله » فلها تملأ الفم ، وترقي الدم . أي تبرئ الظنين بالدم من الدم ، فبرقا دمه أي يسكن محقونا في مسكه فلا يراق

ومنه قولهم « لا تسبوا الأبل فإن فيها رقوة الدم^(٢) » أي أنها تعقل في الديات فترقا بها الدماء المحقونة بالاراقة

ومنه قولهم « لا رقات [عبرته^(٣)] » أي لاهدأت

وبعضهم يقول « وتقطع الدم » أي يبرأ بها الرجل من الدم فبرقا دمه

(١) يخاطب النعمان بن المنذر في قصيدة بعث بها إليه من الشام مدة إقامته في ضيافة ملوك غسان ، يتصل بما روي به عنده ، ويستدرك من مدحه لال غسان ، ومعلمها :

أنا في - أبيت اللعن - أنك لنتي وتلك التي أهتم منها وأنصب

(٢) تنسب هذه الكلمة إلى أكتن بن صفي أحد حكماء العرب وخطبائها وحكامها وهو صعاibi أو تميمي . ونسبت إلى قيس بن عامر المنقري الحكيم الصعاibi رضي الله عنه في وصية كتب بها إلى طي . وهي « لا تسبوا الأبل ، فإنها رقة الدم ، ومهر الكريمة ، وبألبائها يتحف الكبير وينذى الصغير ، ولو أن الأبل كلفت الطحن لطحنت » نقله الزبيدي في التاج عن شروح الفصيح . وقال المفضل الضبي :

من اللاتي يزدن البش طيباً وترقا في مياقها الدماء

ووردت الكلمة في أكثر كتب اللغة والأدب

(٣) الزيادة من التيمورية

وقد قيل : ان القوم اذا اصطلحوا بعد حرب وتحالفوا بالله الأجل رقات
دماؤهم أي هدأت

ومن أيمانهم « لا والذي يراني من فوق سبعة أرقعة » أي من فوق سبع
سماوات . ثم خصوا السماء الدنيا بهذا الاسم . والرقيع مذكر . وقيل يسمى رقيعاً
لأنه وقع بالنجوم . وتقول العرب « لا أفعل ذاك ولو نزوت في الرقيع » كقولهم
« ولو نزوت في اللوح » و « لا نزوت في الشكالة » . وفي حديث النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال لسعد [بن مُعَاذٍ لما حكم في بني قُرَيْظَةَ] « لقد حكمت فيهم
بحكم الله من فوق سبعة » ^(١) أرقعة

ومن أيمان هؤلاء « لا والذي شقَّ الرجال للخيل ، والجبال للسيل ^(٢) » .
والمعنى : لا والذي خلق الرجال على هذه الخلقة . هذا معنى « شق » هاهنا .
وهو كتسميتهم خروق البدن شقوقاً

وعلى هذا المذهب انما قولهم « لا والذي شقَّهن خيماً من واحدة ^(٣) » يعني
أصابع يده إذا حلف فرفع يده وفرق أصابعه

ومن أيمان هؤلاء أيضاً « لا والذي وجهي زَمَمَ بيته ^(٤) » أي نحو بيته
ومواجه بيته . ويقال « مرَّ بهن على زَمَمٍ طريقك » كأنه مزموماً نحوه

ومنها أيضاً « لا والذي لا يواريني منه خَمَرٌ » . فالخمر ما وارك من شجر .
المعنى : لا يواريني منه شيء . وانما ذكر الخمر لأن من شأنهم التواري في الخمر
ومثله « لا والذي لا يواريني منه غيب » والغيب كل ما وارك من شيء :

(١) الزيادة من نسخة دار الكتب المصرية . وورد الحديث في النهاية لابن الأثير
(مادة رقع)

(٢) ورد في الزهر (٢ : ١٦٨ الطبعة الثانية) عن كتاب المثنى لابن السكيت وفي
ذيل الامالي والنوادر لابي حلي الثاني (ص ٥١) وفي المحمص (١٣ : ١١٨)

من شجر ، أو جبل ، أو حائط ، أو غير ذلك ^(١)
ومنها أيضاً « لا والذي لا يُنقى بوجاح » أي لا يستر منه وجاح فينتقى به .
والوجاح كل ما حال بينك وبين شيء من ستر أو نوب أو حائط أو غير ذلك .
ومنه « نوب وجَّح » أي صفيق جداً
ومنها أيضاً « لا والذي لا أتقيه إلا بمقتله ^(٢) » أي كيف رمت أن أتقيه
فهناك المقتل .

ومنها « لا والذي أخرج العذق من الجريمة ، والنار من الوئيمة ^(٣) »
العذق النخلة والجريمة الثمرة المحرومة أي المصرومة . أراد النواة ، [^(٤) والوئيمة
فلقة أي قطعة من حجر تشبه أي تنكسره من قولك ونم نيم ونمًا أي كسر . ومنه
قول عنزة : تَطِسُ الإِكْلَمَ بوقع خُفٍّ مِثْمَ ^(٥)

(١) ومنه سميت الاجمة ذات الشجر المشكائف غابة لانها تنيب ما فيها
(٢) في التيمورية « بمقتله » ، وفي نسخة دار الكتب المصرية « بمقتله » وكذلك في
الزهر (٢ : ١٦٨) عن كتاب المنى لابن السكيت وفي المحقق (١٣ : ١١٨) .
وأورد القالي (٣ : ٥١) روايتين احدهما « بمقتله » أي كل شيء مني مقتل من حيث شاء
قتلني ، وهي رواية ابن الاعرابي في النوادر . والاخرى « لا والذي لا أتقيه إلا بمقتله »
من القتل وهو الموت أي الموت في عنقي فكل شيء حنف
(٣) ورد في النهاية لابن الاثير (عذق ونم) وفي تاج المروس في اللادتين ونقل القالي
في أماليه (١ : ١٠٢) وصاحب لسان العرب (ونم) والزيدي في التاج عن محمد بن السائب
الكلبي أن الاوس بن حارثة عاش دهرًا وليس له ولد الا مالك ، وكان لاخته الخزرج بن حارثة
خسة اولاد - عمرو وعوف وجشم والحارث وكعب - فلما حضره الموت قال له قومه :
— قد كننا نأمرك بالتزويج في شبابك ، فلم تزوج حتى حضر الموت ...
فقال الاوس : — لم يهلك هالك ، ترك مثل مالك . وان كان الخزرج فاعدد ، وليس لمالك
ولد ، فلعل الذي استخرج العذق من الجريمة ، والنار من الوئيمة ، أن يجعل لمالك نسلا ،
ورجالا بسلا ... الخ

(٤) النسخة التيمورية ناقصة من هذا الموضع الى موضع الاشارة في ص ١٠٩

(٥) هو من الملقاة ، وصدره :

« خطارة غيب السرى زيافة »

ويروى « بذات خف » والبوطس : الضرب الشديد . وخف ميم : أي شديد الوطء

يصف خف ناقته أي مدق مكسرها

ومنها أيضاً « لا والذي فلق الحبة ، وبرا النسمة ^(١) » فلق الحبة أي شقها
في الارض حتى تنبت ، ثم أثمرت فكان منها حب كثير . وكل شيء شقته بانئين
قد فلقته . قال : والنسمة كل نفس ذات نفس فهي نسمة . وسميت نسمة
لتنسها الهواء

ومنها أيضاً « لا والذي سَكَّ السماء »

ومنها أيضاً « لا والذي يراني من حيث ما نظر ^(٢) »

ومنها أيضاً « لا وفالق الآصباح ^(٣) » ، وباعث الارواح « يريد جمع روح
« لا ومجري الرياح »

و « لا [و] مجري الالاهة » وبمضهم يقول « الالهة » يجعلها معرفة علماً
هي اسم الشمس التي تعيدها ^(٤) ولذلك سموها (عبد شمس) و (عبد الشارق)
كما سموها (عبد الله) و (عبد الرحمن)

ومنها أيضاً « لا ياتمر له جُدولي » . قال : الجدول الأعضاء واحداً جَدِل
ومعني هذا : ان أعضائي كلها جند لله تعالى علي
ومنها أيضاً « لا ومُنزل القطر »

(١) أوردته الراغب في معاضرات الادباء (١ : ٣٠٠ الطبعة الاولى) وابن الانير في النهاية
(لم يوفق) وقال : كان من حلف أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه
(٢) نسخة دار الكتب للمصرية « ما نظرت » وصححه من أمالي القاضي (٣ : ٥٢) ومما
جاء في الزهر (٢ : ١٦٨) من ابن السكيت في كتاب المتن ومن التخصص (١٣ : ١١٨)
(٣) في أمالي القاضي وفي الزهر والتخصص
(٤) في تاج العروس : والالاهة الشمس غير معروف بلا الف ولا لام وربما صرفوا
وأدخلوا فيه الالف واللام وقالوا الالاهة . قال الجوهري وأشد أبو علي :
نأصعبنا الالاهة أن تؤوبا

وبعضهم يقول « لا ومُقَطَّع القطر ^(١) » لأنه ينزل ^(٢)
 « لا وميمت الرياح ^(٣) » لأنهم يقولون بامانة الريح
 « لا ومجري البحر »
 « لا ومنشيء السحاب »
 « لا والذي دَحَى الأرض » أي مدّها وبسطها
 « لا وميمت الرياح ^(٤) » لأنهم يقولون ماتت الريح إذا سكنت . قال الراجز :
 إني لأرجو أن تموت الريحُ
 فأقعد اليوم وأسنرجُ
 « لا والذي سجد له النجم والشجر » النجم من النبات ما نَجَمَ منه وانفرش
 على وجه الارض ولم يرتفع عنها بساق
 « لا والذي حجت له المائر » جمع عمارة وهي الحي الكبير
 « لا والذي ذابت له الشعور »
 « لا وفاطر الأشباح » يريد جمع شبح وهو الشخص
 « لا والذي يرصدني أني سلكت » من قوله عز وجل « إن ربك
 لبالمِرْصاد »

« لا ورب الشمس والقمر » ^(٥) [

« لا ورب البيت والحجر ^(٦) »

(١) في أمالي القالي (٣ : ٥١) . وفي المحمص (١٣ : ١١٨) القطرة

(٢) أظن هنا كلمة أو كلمات سقطت من الاصل

(٣) في المزهر عن ابن السكيت

(٤) ورد في الاصل هكذا مرة ثانية ، وقد تقدم أننا

(٥) آخر الناقص من نسخة الخزائن النبوية أوله في ص ١٠٧

(٦) البيت : الكعبة ، بيت الله الحرام . والمجر : الحجر الاسود في الركن الشرقي من

أركان الكعبة

« لا والذي أخرج الماء من الحجر ، والنار من الشجر »

« لا ورازق الأنام »

« لا ورب النور والظلام »

« لا ورب الحِلِّ والحرام » قال مُهَلِّل :

قتلوا كُلياً نَمَ قالوا ألا اربعوا كذبوا ورب الحِلِّ والاحرام

« لا والذي أئمنه من كل أوب » أئمنه يعني الابل ، أضمرها ولم يجر له

ذِكْر ، وهذا على عادتهم في مثله . من كل أوب أي من كل مسلك ومن كل طريق يا أوب منه الآييون

« لا والراقصات بينطن مر^(١) » يعني الراقصات بركبانهن

« لا والذي رقصن يبطحنه^(٢) » رقص وأرقص لفتان . والابطح والبطحاء

ما انبطح واتسع من بطن الوادي وهو خير

« لا والراقصات بينطن بجمع^(٣) »

« لا والذي نادى الحبيج له^(٤) »

« لا وقابتي نفسي^(٥) » أي الذي جعل نفسي قوتاً لمدة حياتي . قال : ويقنانه

يذهب به شيئاً بعد شيء ، كما قال طفيل :

يقتاتُ فضلَ سنامها الرَّحْلُ

(١) بطن مر : من نواحي مكة على ليلتين منها ، قال ياقوت : فيه عيون كثيرة ونخل وجيز ، ويقال له (مر الظهران) وفيه يجتمع واديا نخلة الشامية من منازل هذيل فيصيران واديا واحداً

(٢) أورده القالي (٣ : ٥٢) والسيوطي في الزهر (٢ : ١٦٨) عن ابن السكيت ، وابن سيده في المحمص (١٣ : ١١٨)

(٣) جمع : هي المزدلفة - بين عرفات ومنى - يجتمع الناس فيها ليلة الافاضة من عرفات ، ثم يستأنفون السير الى منى في الصباح : وقد ورد هذا الميم في أمالي القالي والزهر والمحصص

(٤) في أمالي القالي وفي الزهر عن ابن السكيت وكذلك في المحمص (١٣ : ١١٨) « لا والذي يزوتني نفسي » وفي تاج العروس (قات) : لاوقات نفسي

أي ينقصه الرجل شيئاً بعد شيء ، فكأنه له بمنزلة القوت حتى يأتي عليه .
قال : وبعضهم يقول « لا وقايت نفسي القصير ^(١) » يريد قصر العبر
ومنها قولهم « بين الله لقد كان كذا » و « أئمن الله » قال نصيب :
وقال فريق أئمن الله ما ندرى

و « أئمن الله . . » و « أئمن الله . . » و « الله لقد كان ذاك » . وقال يونس
النحوي : أهل اليمامة يقولون « أم الله » وقال آخرون « أئمن الله » وأئمن الكعبة .
كأنه جمع بين

ومنها « عمرك الله هل ذاك ؟ » والمعنى عمرك الله ، أي سألت الله تميرك ،
وهو معنى قول العامة « بالذي يعمرك » . قال ابن الأعرابي عمرك الله بالرفع ،
والنصب الوجه ، وعليه رواية أهل العربية . وقال آخرون « عمر الله »
ومنها أيضاً « قعديك الله » و « قعديك الله ^(٢) » وقالوا أيضاً « قعديك لأفعل
ذاك » و « قعديك . . » قال متمم بن نويرة :

قعديك أن لا تسميني ملامةً فلا تنكأي قرح الفؤاد فيججا

ومعناها أخصب الله بلادك حتى تكون مقبلاً فيها قاعداً غير منتجع
ومنها « لا ورافعها بنير عمد ، لا وسامكها ، لا وباسطها - يعني الأرض -
لا وماهدها ، ودلحها » يعني الأرض
« لا والذي أمد إليه بيد قصيرة ^(٣) » أي بسعي قصير ومبه « اليد العليا
خير من اليد السفلى »

(١) كذا في الموضعين من أمالي القاضي والمزهر وفي المحض (١٣ : ١١٨) . قال القاضي :
القائت من القوت يطبع قليلاً قليلاً . وفي تاج العروس (قات) « لا وقايت نفسي القصير » وفي
النسخة النيسورية : لا وقايت نفسي القصير . وفي نسخة دار الكتب المصرية : لا ولايتي نفسي .
القصير (٢) المزهر (٢ : ١٦٨) من ديوان الأدب للأعرابي والمحض (١٣ : ١١٧)
من أبي عبيد (٣) القاضي (٣ : ٥٢) والمزهر والمحض

« لا والذي نادى الحبيج [له] ^(١) « أي من أجله ، أي دعوته

« لا والذي كل الشعوب تدين له » ويقال أيضاً تدينه ^(٢)

« لا والذي يراني ولا أراه » ^(٣)

أبو زيد : قال المقلبيون « حرام الله » كقولهم بين الله ^(٣)

أوتجني العلى ولا تتجني

علموها الفنون فناً فناً هي أولى بالعلم منكم ومنا
لا اختيالاً في مرقص الهوى تمشي وبكفي قرينها تنثنى
خلقت زهرة لنا ، ليس إلا من رياض العفاف والصون تجني

يا ذوات السوارِ لرحمن صباً بهواه أنى توجه أنا
كلما عن منك سرب أناه ناشداً له فماد معنى
دعن جر الذبول واسحين للعلد م على أشرف الكواكب ردنا
حسب الحافظك أحوارٍ وغنجٍ قد فتنت بها الغزال الاغنى
فاكحلها بالسهد تجني غداً ليس تجنى الا اذا الليل جنا
انما العز بارتباد بجالي صف هن للفضائل مجنى
فانسجي بالعلوم برد مسعود تلبسه من الشقاء مجناً
فاذا شف عن كمال جمال فيك فهو الجمال لفظاً ومعنى
واذا الحسن ذاته حسن خلق وطباع قد تضمن حسناً

يا بنفسي فريدة لم يخامر مقلتيها الكرى فغمض جنتنا

(١) تقدم (٢) والثانية رواية وردت في أمالي القالي والزهر والخمسم

(٣) الزهر والقالي والخمسم